قصة الطوفان

كما يرويها "أوتو – نبشتم" الخالد لجلجامش

ركب جلجامش و "أور – شنابي" في السفينة
انزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً
من السفر الاعتيادي
وهكذا بلغ "أور – شنابي – مياه الموت
وعندئذٍ نادى "أور – شنابي" جلجامش وقال له:
هيا يا جلجامش خذ مرديا وادفع به
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
اسرع يا جلجامش وتناول مرديا ثانياً وثالثاً ورابعاً
يا جلجامش خذ "مرديا" خامساً وسادساً وسابعاً
خذ يا جلجامش "مردياً" ثامناً وتاسعاً وعاشراً
خذ "مرديا" حادي عشر وثاني عشر؟
وبمائة وعشرين دفعة "مردي" استنفذ جلجامش كل "المرادي"[1].
ثم شمّر جلجامش عن يديه ونزع ثيابه ونشر يديه القلوع

---

[1] لأنهما كانا يمخران في (مياه الموت) فإن جلجامش لم يستعمل (المردي) الواحد إلا لدفعة واحدة وبعد أن يغطس معظم طوله يرميه في اليم مخافة أن تلمس يده مياه الهلاك.

وكان "أوتو – نبشتم" قد شاهد السفينة من بعيد فناجى نفسه بهذه الكلمات

علام دمرت "صور الحجر" الخاصة بالسفينة؟

ولم يركب في السفينة شخص غريب غير صاحبها؟

فإن الرجل الآخر الآتي ليس من اتباعي

(بقية النص مخرومة ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقي بجده "أوتو – نبشتم" فيسأله هذا عن سبب مجيئه وهي الأسئلة نفسها التي وجهها إليه صاحبة الحانة والملاح، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين فيجيبه جلجامش الإجابة نفسها تقريباً وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة):

أجاب جلجامش أوتو – نبشتم وقال له:

يا "أوتو – نبشتم" كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي

ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيأتي ويصير وجهي أشعث

كمن أنهكه السفر الطويل، ويلفح وجهي الحر والقر

وأهيم على وجهي في البراري، وإن خلي وأخي الأصغر الذي طارده

حمار الوحش في البرية واصطاد النمور في البوادي

إنه انكيدو الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال.

الذي امسك ثور السماء وقتله، والذي غلب "خمبابا"

الذي يسكن في غابة الأرز.

صديقي وخلي الذي أحببته حباً جماً والذي صاحبني.

في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية.

فبكيته ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر.
حتى وقع الدود على وجهه
لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في البراري
فالنازلة التي حلت بصديقي قد جثمت بثقلها على صدري
وأقضت مضجعي حتى همت مطوفاً في البراري
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار، وإن صديقي الذي أحببت قد صار ترابا
وأنا الا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أنهض من بعدها
أبد الدهر؟
ثم أردف جلجامش وخاطب "أوتو – نبشتم" قائلاً:
ولذا تراني قد جئت لأرى "أوتو – نبشتم" الذي يدعونه "القاصي"
لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة وعبرت كل البحار
لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم
لقد أنهكني السير والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب
ولم أكد أبلغ بيت "صاحبة الحانة" حتى خلقت ثيابي وتمزقت
لقد قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر والضبي والأيل
والوعل وجميع حيوان البر
أكلت لحومها واكتسيت بفروها
.....................[1]
قال "أوتو – نبشتم" لجلجامش:

[1] باقي النص مخروم منه نحو ٤٢ سطراً.

"إن الموت قاس لا يرحم
متى بنينا بيتاً يقوم إلى الأبد؟
متى ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد؟
وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد؟[1].
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها ولم يكن دوام وخلود منذ القدم[2].
وياما أعظم الشبه بين النائم والميت!
ألا تبدو عليهما هيأة الموت؟
ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا جاء أجلهما؟
إن "الأنوناكي"[3]، الآلهة العظام تجتمع مسبقاً
ومعهم "مامتم" صانعة الأقدار تقدر معهم المصائر
قسموا الحياة والموت[4]
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه؟
وقال جلجامش لـ "أوتو – نبشتم"، القاضي[5]:

---

[1] قارن سفر الجامعة ٦:٩.
[2] قارن سفر الجامعة: ١١:١، ٤:١، ١٦:٢، ٥:٩، ١٩:٣.
[3] اسم عام يطلق على مجموع الآلهة ولاسيما آلهة العالم الأسفل بصفتها قضاة ذلك العالم.
[4] قارن سفر التثنية ١٩:٣٠.
[5] بهذا السطر يبتدي اللوح الحادي عشر وفي نهاية اللوح العاشر يوجد سطر التذييل المألوف: "اللوح العاشر"، من "هو الذي رأى كل شيء" من سلسلة "جلجامش"، مكتبة آشور بانيبال"، ملك العالم، ملك بلاد آشور.

ها إنني أنظر إليك يا أوتو – نبشتم
فلا أرى هيأتك مختلفة، فأنت مثلي لا تختلف عني
أجل! فأنت لم تتبدل بل إنك تشبهني
لقد كنت أحسبك كاملاً كالبطل على أهبة القتال
فإذا بي أشاهدك خاملاً مضطجعاً على ظهرك
فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ونلت الحياة (الخالدة)؟
فأجاب "أوتو – نبشتم" جلجامش وقال له:
"يا جلجامش سأفتح لك عن سر محجوب
سأطلعك على سر من أسرار الآلهة:
"شرباك"[1]، المدينة التي تعرفها أنت
والراكبة على شاطىء نهر الفرات
إن تلك المدينة قد تقادم العهد عليها وكان الآلهة فيها
فرأى الآلهة العظام أن يحدثوا طوفاناً وقد زينت لهم قلوبهم ذلك
لقد اجتمعوا وكان معهم "آنو" أبوهم
و "أنليل" البطل مشيرهم
و "ننورتا" مساعدهم (وزيرهم)

---

(١) "شروباك"، وتعرف أطلالها الآن باسم (فارة) بالقرب من الوركاء على نحو ١٨ ميلاً إلى الجهة الشمالية الغربية، وكانت من المدن السومرية الشهيرة، وموطن بطل الطوفان البابلي "أوتو – نبشتم" وجاء ذكرها في إثبات الملوك السومرية من بين المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات قبل الطوفان (أنظر المقدمة). وستأتي الإشارة في الملحمة إلى أن الآلهة كانوا يحكمون في هذه المدينة في أزمان ما قبل الطوفان إذ كانت الملوكية بيد الآلهة. وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم رجعت إلى الأرض من بعد الطوفان، وكانت أول سلالة حاكمة في البلاد سلالة كيش الأولى.

و "أنوكي" حاجبهم[1].
وكان حاضراً معهم "نن – أيكي – كو" أي، "أيا"
فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:
"يا كوخ القصب! يا كوخ القصب، يا جدار، يا جدار!
اسمع يا كوخ القصب وأفهم يا حائط[2].
يا رجل "شروباك" يا ابن، "أوبارا – توتو"!
قوّض البيت وابن لك فلكاً[3] (سفينة)
تخل عن مالك وانج بنفسك
انبذ الملك وخلص حياتك
وأحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة[4]
والسفينة التي ستبنيها عليك أن تضبط مقاسها (قياسها):
ليكن عرضها مثل طولها[5].
واختمها جاعلاً إياها مثل مياه "العمق"
ولما وعيت ذلك قلت لربي "أيا":
"سمعاً يا ربي سأصدع بما أمرتني به
ولكن ما عساني أن أقول للمدينة؟ بم سأجيب الناس والشيوخ؟"
ففتح "أيا" فاه وقال مخاطباً إياي، أنا عبده:

---

(1) بعضهم يترجم ذلك بمأمور أو موظف خاص بالري أو الوزير أو الرسول.
(2) الخطاب كما لا يخفى موجه بطريق المجاز إلى صاحب الكوخ وهو "أوتو – نبشتم"
(3) قارن نص التوراة سفر التكوين ٦:١٤.
(4) سفر التكوين ٦:١٩-٢٠.
(5) م.ن ٦:١٥.

قل لهم هكذا: "إني علمت أن "أنليل" يبغضني
فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي إلى أرض أنليل وأسكن فيها
بل سأرد إلى الـ "أبسو"[١] وأعيش مع "أيا" ربي
وسينزل عليكم وابل غزير من المطر.
ومن مجامع الطير (؟) وعجائب الأسماك
وسيغدق عليكم الغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح[٢]"
ولما نورّت أولى بشائر الصباح
تجمع البلد حولي
جلبوا إليّ قرابين الغنم النفيسة
وأحضروا إليّ قرابين من ماشية مراعي السهوب
.................[٣]
وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى
جلب إلي الصغار منهم القير

---

[١] مياه العمق الأبسو" وكانت في مآثر العراق القديم، المياه السفلى حيث موطن إله المياه "أيا" وقد يكنون بالأبسو عن مياه المحيط السفلى إذ كانوا يعتقدون بأن الأنهار والأهوار تخرج من تلك المياه، على أن المقصود هنا. على ما يرجح. الأهوار الممتدة في رأس الخليج.

[٢] استعمل الكاتب تورية من الكلمتين البابليتين kuku و kibati اللتين تعنيان معنى مزدوجاً إما الطعام أو الهلاك. وقد قصد "أيا" من هذه التورية أن يفهم عامة الناس أن هذا بشرى بالخير. أما بالنسبة إلى "أوتو – نبشتم" فيعني حدوث الطوفان الذي كان على وشك الوقوع.

[٣] انخرام من أربعة أسطر.

وفي اليوم الخامس أقمت هيكلها (بنيتها)[1]

وكان سطح أرضها "أيكو"[2] واحداً وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرين ذراعاً

عينت شكلها الخارجي هكذا وبنيته

وجعلت فيها ستة طوابق تحتانية[3]

وبهذا قسمتها على سبعة أقسام (طوابق)

وقسمت أرضيتها على تسعة أقسام[4]

وحشوتها وغرزت فيها "أوتاد الماء"[5]

ووضعت فيها "المرادي" وجهزتها بالمؤن

لقد سكبت ستة شارات من القير في الكورة[6]

---

(1) أي هيكل السفينة وفي الأصل البابلي "بنيتها".

(2) الـ "أيكو" مساحة سطحية تعادل نحو ٣٦٠٠م مربعاً أي نحو "ايكر" واحداً أما الذراع البابلي فقد سبق أن ذكرنا أنه يساوي نحو نصف متر فتكون مساحة سطحها ٣٦٠٠م مربعاً وبما أن ارتفاعها ٦٠ متراً (١٢٠ ذراعاً) فيكون شكل سفينة "أوتو – نبتشم" مكعباً منتظماً سعته نحو (٢١٦٠٠) متراً مكعباً.

(انظر Schott, op. eit, 88, notes).

قارن في هذا الباب أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين ٦:١٥.

(3) بعد أن عيّن "أوتو – نبشتم" هيكلها العام وشكلها الخارجي وضع الألواح ووصل ما بينها وبناها.

(4) أي أن كل طابق من الطوابق السبعة قد قسّم على تسعة أقسام أو مقاصير. ومصطلح أوتاد الماء واضح. وهو ما يستعمل في بناء السفن بغرز حشوات خشبية في فواصل الألواح لمنع الماء من النفاذ إليها. وفي الأصل البابلي "سكك" أو "سكات" بالجمع.

(5) قارن سفر التكوين ٦:١٦.

(6) م.ن: ٦:١٦.

وسكبت أيضاً ثلاث شارات من القطران (الأسفلت)
وجلب حاملو السلال ثلاثة (شارات) من السمن
فضلا عن "شار" واحد من السمن استنفذه نقع "أوتاد الماء"
وشارين من السمن اختزنهما الملاح
ثم) ذبحت البقر وطبختها للناس[1]
نحرتُ الأغنام في كل يوم
قدمت إلى الصناع عصير الكرم والخمر الأحمر والزيت والخمر الأبيض
سقيت الصناع بكثرة كماء النهر
سيسعدوا ويفرحوا كما في يوم رأس السنة
ومسحتُ يدي بالزيت
وتم بناء السفينة في اليوم السابع عند مغرب الشمس
وكان إنزالها (إلى الماء) أمراً صعباً
فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع في الأعلى وفي الأسفل
إلى أن غطس في الماء ثلثاه
ثم حملت فيها كل ما أملك من ذهب
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية[2]
أركبتُ في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وأركبتُ فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصناع[3]

---

(1) م.ن ٦:٢١.
(2) سفر التكوين ٧:٧-٨.
(3) م.ن ٧:١٣-١٦.

وحدد لي الإله شمش موعداً معيناً بقوله[1]:
"حينما ينزل الموكل بالعاصفة في المساء مطر الهلاك
فادخل في السفينة واغلق بابك"
وحل أجل الموعد المعين.
وفي المساء أنزل إلى الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً
وتطلعت إلى الجو فكان مكفهراً مخيفاً
فولجتُ في السفينة وأغلقتُ بابي
واسلمت دفة السفينة إلى الملاح "بوزر – آموري"
أعطيتهُ "البناء العظيم"[2] وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر
ظهرت من الأفق البعيد (من أسس السماء) غمامة سوداء[3].
وفي داخلها أرعد الإله "أدد"[4].
وكان يسير أمامه "شلات" و "خانيش"[5].
وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول
وقلع الإله "ايراكال"[6] الدعائم

---

[1] في الموارد السابقة كان "أيا" هو الإله الذي أنذر "أوتو – نبتشم" بموعد حلول الطوفان.
[2] في الأصل "القصر" أو "الهيكل" أي السفينة.
[3] قارن سفر التكوين ٧:١١.
[4] إله الزوابع والرعود.
[5] من رسل الإله "أدد".
[6] "ايراكال" من آلهة العالم الأسفل ولعله اسم من أسماء الإله نرجال "نرجول في التوراة" إله العالم الأسفل والمقصود بالدعائم هنا دعائم "سد العالم" الذي يحبس المياه السفلى.

ثم أعقبه الإله "ننورتا" وفتق السدود
ورفع "الأنوناكي" المشاعل
وأضاءوا بأنوارها الأرض
ولكن بلغت رعود الإله "أدد" عنان السماء"
فأحالت كل نور إلى ظلمة
وتحطمت الأرض الفسيحة كالكوز (الجرة)
وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوماً كاملاً
وازدادت شدة في مهبها حتى غمرت الجبال[1]
وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان
وصار الأخ لا يبصر أخاه
ولا البشر يميزون من السماء
وحتى الآلهة ذعروا وخافوا من عباب الطوفان
فانهزموا وعرجوا إلى سماء "آنو"[2]
لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب إزاء الجدار الخارجي
وصرخت عشتار كالمرأة في ساعة مخاضها
انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة:
"واحسرتاه لقد عادت الأيام القديمة إلى طين[3]
لأنني أنا نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة

---

(1) سفر التكوين ٧: ٢٠-٢٢.
(2) "آنو" إله السماء وكانت سماء آنو بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السموات السبع.
(3) قارن سفر التكوين ٧: ٢٣.

فكيف نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة؟
لقد سلطتُ الدماء على خلقي[1].وأنا التي ولدتُ خلقي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كصغار السمك "وبكى آلهة الأنوناكي وهم منكسو الرؤوس وندبوا وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وسبع ليال
ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطى عباب الطوفان الأرض
ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدة وقعها
وقد كانت كالجيش في الحرب العوان
وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[2]
وتطلعت إلى الجو، فرأيت السكون عاما
فتحت كوة فسقط النور على وجهي[3]
ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً إلى طين
فركعتُ وجلستُ أبكي فانهمرت الدموع على وجهي.
وتطلعت إلى حدود (معالم) سواحل اليم
فرأيت بقاع الأرض العالية تظهر من مسافة أربع عشرة ساعة مضاعفة
واستقر الفلك على جبل نصير[4].

---

(1) قارن سفر التكوين ٨:٢١.
(2) م.ن ٨:١-٢.
(3) م.ن ٨:٦.
(4) قارن رواية الطوفان سفر التكوين ٨:٤. إذالجبل الذي استقرت عليه السفينة أحد جبال "أراراط". وأراراط اسم ارمينية القديم. وورد ذكره في الكتابات المسمارية اسم "أورارطو" وإذا صحت قراءة الاسم كما في ملحمة كلكامش. فإن معنى "جبل نصير" في

لقد مسك جبل "نصير" السفينة ولم يدعها تجري
ومضى يوم ويوم ثانٍ وجبل "نصير" ممسك بالسفينة فلم تجر
ومضى يوم ثالث ورابع وجبل نصير ممسك بالسفينة ولم يدعها تجري
وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة
ولما أتى اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)
طارت الحمامة ثم عادت[1].
رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه
وأخرجت السنونو وأطلقتهُ
ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه
ثم أخرجتُ غراباً وأطلقته[2]

البابلية جبل الخلاص، وورد اسم جبل نصير في أخبار الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ق.م) والذي يقع بحسب هذه الأخبار إلى جنوبي وادي الزاب الصغير. وقد ذكر مصحوباً باسم الكوتين وقد عينه بعضهم بجبل "بيرة مكرون"، الجبل الشهير القريب من السليمانية الذي يرتفع نحو ٩ آلاف قدم، ويبعد عن "شروباك" موطن أوتو – نبشتم، بنحو ٤٥٠ كم إلى الشمال الشرقي. وكان يعرف إلى عهد قريب أيضاً باسم "بير مر كودرون، وجاء اسم الجبل بحسب رواية "بيروسوس" (برعوشا، الكاتب البابلي في القرن الثالث ق.م) باسم جبل "الكوردين" أي جبل الأكراد. وفي المآثر العربية (القرآن الكريم) والمآثر السريانية كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبل الجودي.

(١) قارن سفر التكوين ٨:٨-١٠.

(٢) سفر التكوين ٨:٧، وقد وصف حدث إطلاق الطيور في التوراة بإسهاب ،فعند ظهور قمم الجبال بعد مرور أربعين يوماً من بدء الطوفان أطلق نوح غراباً (التكوين ٨:٥-٧) وظل هذا الطائر يحوم حتى انحسار الطوفان ولم يعد إلى الفلك، وبعد سبعة أيام أطلق نوح الحمامة التي لم تجد موضعاً تحط فيه فعادت (٨:٨-٩) وبعد سبعة أيام أخرى أطلق نوح حمامة أخرى فوجدت هذه طعاماً وبعض المواضع اليابسة ولكنها عادت حاملة معها

فذهب الغراب ولما رأى المياه قد انحسرت
اكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذلك اطلقتُ كل شيء إلى الجهات الأربع وقربت قرباناً
وسكبت الماء المقدس على قمة (زقورة) الجبل[1]
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقربان
وكدستُ تحتها القصب الحلو[2] وخشب الأرز والآس
فتنسم الآلهة عرفها (شذاها)[3]
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب
فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صنعه لها "آنو" على وفق هواها وقالت:
"أيها الآلهة الحاضرون كما أنني لن أنسى عقد اللا زورد هذا الذي
على جيدي سأتذكر هذه الأيام ولن أنساها[4]
ليتقدم الآلهة إلى القرابين
أما "أنليل" فحذار أن يقترب من القرابين
لأنه لم يترو فأحدث الطوفان

غصن زيتون غض (٨:١٠-١١) وبعد سبعة أيام أطلق نوح حمامة ثالثة و لم تعد هذه إلى الفلك (٨:١٢) فكان ذلك علامة على انحسار الماء حتى من الأجزاء الواطئة من الأرض.

(١) قارن سفر التكوين ٨:١٩-٢٠.

(٢) لعله قصب السكر.

(٣) سفر التكوين ٨:٢١.

(٤) يقارن بعضهم هذا الحادث بعلامة القوس قزح الذي كان في التوراة آية عهد النبي إلى نوح بعدم تكرر حدوث الطوفان.

وأسلم خلقي إلى الهلاك؟
ولما جاء "أنليل" وشاهد الفلك (السفينة) استشاط غيظاً
وحنقا على آلهة الـ "أيكيك" (١) وقال:
"عجباً كيف نجت نفس واحدة، وقد كان المقدر أن لا ينجو بشر من الهلاك؟
ففتح الإله: ننورتا "(٢) فمه وقال مخاطباً البطل "أنليل":
"من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير "آيا"؟
فإن أيا وحده هو الذي يعرف خفايا كل الأمور
وعند ذاك فتح "ايا" فاه وقال مخاطباً "انليل" البطل:
أيها البطل أنت أحكم الآلهة
فكيف، كيف أحدثت عباب الطوفان بدون أن تتروى؟
حمّل صاحب الخطيئة وزر خطيئته
وحمّل المتعدي إثم اعتدائه
ولكن كن رحيماً في العقاب لئلا يهلك ولا تهمله فيمعن في الشر
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان(٣) سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلاً من الطوفان لو أنك أحدثت القحط في البلاد

(١) اسم جمع يطلق على آلهة السماء.
(٢) "ننورتا" ابن الإله "انليل" وإله الحرب ورسول الآلهة.
(٣) قارن سفر الجامعة ١٤:١٣-٢١.

وبدلاً من الطوفان لو أن "أيرا" (إله الطاعون) فتك بالناس
أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت "اترا – حاسس "[1] يرى رؤيا فأدرك سر الآلهة
والآن قرر مصيره؟
ثم صعد انليل إلى السفينة
ومسكني من يدي وأركبني معه في السفينة
وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد جانبي
ثم وقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً
"لم يكن" "أوتو – نبشتم" قبل الآن سوى بشر
ولكن منذ الآن سيكن "أوتو – نبشتم" وزوجه مثلنا نحن الآلهة
وسيعيش أوتو – نبشتم بعيداً عند "فم الأنهار"
ثم أخذوني بعيداً عند "فم الأنهار"
والآن من سيجمع الآلهة من أجلك؟
تعال امتحنك! لا تنم ستة أيام وسبع ليال"
ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا سنة من النوم
تأخذه وتتسلط عليه كالضباب
فالتفت "أوتو – نبشتم" إلى امرأته وخاطبها قائلاً:
انظري (وتأملي) هذا الرجل القوي الذي ينشد الحياة!
لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب

---

(1) "أترا – حاسس" معناه بالبابلية " المفرط أو المتناهي في الحكمة أو الحس" وهي صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان "أوتو – نبشتم" وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على "اترا – حاسس" (أنظر A.Heidel, op.eit) ومجلة سومر (١٩٥١).

فأجابت زوج "أوتو – نبشتم" زوجها وقالت له:
"ألمس الرجل كيما يستيقظ
ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه بسلام
ليعد إلى بلاده من الباب الذي خرج منه
فأجاب "أوتو – نبشتم" امرأته وقال:
"لما كان الخداع من شيمة البشر فإنه سيعمد إلى خداعك[1].
فهلمي أخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه
والأيام التي ينام فيها أشريها في الجدار
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وعملت (أشرت) الأيام التي نامها في الجدار
فأصبح الرغيف الأول يابساً وتلف الرغيف الثاني والثالث لم يزل رطباً
وابيضت قشرة الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طرياً والسادس قد خبز في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر مسه فاستيقظ[2] الرجل
(وعندما استيقظ) جلجامش قال له "أوتو – نبشتم" القاصي:
"لم تكد سنة النوم تأخذني حتى مستني فأيقظتني"
فأجاب "أوتو – نبشتم" جلجامش قائلاً له:

---

[1] قارن عبارة التوراة الواردة في سفر التكوين ٨:٢١.
[2] أي أن أوتو – نبشتم مس جلجامش.

يا جلجامش عد أرغفتك فيعلمك المؤشر على الحائط عدد الأيام
التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحاً
والثالث لا يزال طرياً وتحولت قشرة الرابع بيضاء والسادس لا يزال
طرياً
والسابع – إذا بك تستيقظ!
فقال جلجامش لـ "أوتو – نبشتم" القاصي:
ماذا عساي يا "أوتو – نبشتم" أن أفعل وإلى أين أوجه وجهي؟
وها أن "المفرق" [1] قد تمكن من جوارحي
أجل في مضجعي يقيم الموت.
ثم قال "أوتو – نبشتم" لـ أور شنابي الملاح:
"يا أور – شنابي! عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ
وليبرأ منك موضع العبور
ولتذهب مطروداً من الشاطىء
والرجل الذي قدته إلى هنا يجلل جسمه الشعر والوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا أور – شنابي، وقده إلى موضع الاغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوان ويرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عمامة (عصابة) رأسه

---

[1] المفرق أو المثل يعني الموت (هادم الذات ومفرّق الجماعات).

ودعه يلبس حلة تستر عريه
وإلى أن يصل إلى مدينته وحتى ينهي طريق سفره
لا تدع آثار القدم تبدو على لباسه بل لتحافظ على جدتها[1]
فأخذه "أور – شنابي" إلى موضع الاغتسال
وغسل أوساخه وشعره حتى بدأ نظيفاً كالثلج
ونزع عنه لباس الجلد، فجرفها البحر حتى تجلى جمال جسمه
وجدد عمامته حول رأسه
وألبسه حلة كست عريه
وإلى أن يصل إلى مدينته وينهي طريق سفره
جعل ثيابه جديدة على الدوام
ثم ركب جلجامش وأور – شنابي في السفينة
وأنزلا السفينة في الأمواج وتهيأ للإبحار
(وإذاك) خاطبت امرأة أوتو – نبشتم زوجها وقالت له:
لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسي المشقة والتعب
فماذا عساك أن تمنحه وهو عائد إلى بلاده؟
وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع مرديه
وقرب السفينة إلى الشاطىء
فأدركه "أوتو – نبشتم" وخاطبه قائلاً
لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقد عانيت التعب والعناء

---

[1] يرى بعض الباحثين أن هذه كانت محاولة أول يقوم بها "أوتو – نبشتم" جلجامش دائم الشباب باغتساله في مياه الشباب وإكسائه بكسوة الشباب الدائم قبل أن النبات الذي يجدد الشباب (قارن ذلك بأسطورة الإسكندر الكبير وبحثه عن نبع الحياة الظلمات).

فماذا عساني أن أمنحك حتى تعود إلى بلادك؟
سأفتح لك يا جلجامش سراً خفياً
أجل سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة
يوجد نبت مثل الشوك ينبت في المياه
إنه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة"
وما أن سمع جلجامش هذا القول، حتى فتح المجرى الذي أوصله
إلى المياه العميقة
وربط برجليه أحجاراً ثقيلة
ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي وخز يديه
وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه
فخرج من الأعماق إلى الشاطىء
ثم قال جلجامش لـ "أور – شنابي" الملاح:
"يا أور – شنابي" إن هذا النبات نبات عجيب
يستطيع المرء أن يطيل به حياته
لآخذته معي إلى "أوروك"، الحمى والسور
وأشرك معي (الناس) ليقطعوه ويأكلوه
وسيكون اسمه "يعود الشيخ إلى صباه كالشباب"

وأنا سآكله في آخر أيامي حتى يعود شبابي[١]
(ثم بعد هذا) سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
(وبعد ذلك) أبصر جلجامش بركة ماء ماؤها بارد
فنزل فيها ليغتسل في مائها،فشمت حية (صل) عرف النبات
وخرجت (من الماء) واختطفت النبات
وفي عودتها نزعت عنها جلدها[٢]
فجلس جلجامش عند ذاك وأخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنته
فكلم "أور – شنابي"، كلت يداي؟
ومن أجل من استنزفت دم قلبي؟
لم أحقق لنفسي مغنماً
أجل! لقد حققت المغنم إلى "أسد التراب)[٣].
أفبعد مسافة عشرين ساعة مضاعفة[٤].

---

[١] يتضح من هذا أن النبات يجدد الشباب وأنه يجب أن يؤكل بعد أن يبلغ المرء الشيخوخة ولهذا السبب لم يأكل منه جلجامش في الحال بل أنتظر حتى يدركه الشيب بعد أن يعود إلى الوركاء ولعله رأى أيضاً أن يزرعه في بلاده فيكثر نوعه.

[٢] أي أن الحية استطاعت بتأثير ذلك النبات السحري أن تجدد الشباب بنزع جلدها، ولعل من هذه الأسطورة الطريفة منشأ أتخاذ الحية رمزاً للحياة والشفاء والطب عند معظم الأمم.

[٣] من نعوت الحية عند العراقيين القدماء.

[٤] السياق يقتضي خمسين ساعة مضاعفة.

يأتي هذا المخلوق فيختطف النبات مني؟
وقد سبق أني لما فتحت منافذ الماء
وجدتُ أن هذا نذير لي أن أتخلى (عن مطلبي)
وأترك السفينة في الساحل[١]
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم وصلا إلى "أوروك" ذات الأسوار
فقال جلجامش لـ "أور – شنابي" الملاح: أعل يا أور – شنابي
وتمش فوق أسور "أوروك"
وأفحص قواعد أسوارها وأنظر إلى آجر بنائها وتيقن أليس من الآجر المفخور (المشوي)؟.
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها[٢]
إن "شارا" واحد خصص للسكنى (في المدينة) وشارا واحد لبساتين النخيل
وشار واحد ليسهل الإرواء فضلا عن إلى حارة معبد عشتار
فتتضمن أوروك ثلاثة "شارات" والحارة

---

[١] فسّر إخفاقه أنه نذير له أن يترك السفينة ويعود براً مع الملاح أور – شنابي الذي نفي وطردهُ سيده "أوتو – نبشتم".
[٢] يعود المؤلف إلى بداية الملحمة، كما نوهنا بذلك في المقدمة.

تذييل: اللوح الحادي عشر من "هو الذي رأى كل شيء" من سلسلة جلجامش استنسخت طبق الأصل وحققت

(مكتبة) قصر "آشور – بانيبال" ملك العالم، ملك بلاد آشور.